ملخّص ويسألون عن الطفوف وأسرارها (ح١٠) / عبد الحليم الغزّي
الكفالة الحسينية (ج٢)
الاثنين : ١/صفر/١٤٤٤هـ - الموافق ٢٩/٨/٢٠٢٢م

الجزءُ الثاني من عُنواننا الَّذي تقدَّمَ في الحلقةِ الماضية؛ "الكَفَالةُ الحُسينيّة".
- العنوانُ الأوَّل: كَمَالُ الْمَنْزِلة عِنْدَ الله.
- والعنوانُ الثاني: ثَبَاتُ القَدَمِ فِي الهِجْرَةِ إِلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، فِي الهِجْرَةِ إِلَى الحُسَينِ فِي الهِجْرَةِ إِلَى قَائِمِ آلِ مُحَمَّد صلواتُ اللّه عَلَيهِم جَمِيعاً.
بقيَ العنوانُ الثالث: (**وَالسَّبِيل الَّذي لَا يَخْتَلِجُ دُوْنَك**).
السَّبيلُ؛ هو السَّببُ الـمُوصلُ، السَّبيلُ في أَصله الطريق، السَّبيلُ قد يكونُ ماديَّاً، وقد يكونُ مَعنويَّاً، قد يكونُ طريقاً على الأرض تَسيرُ عليه السَّابلة، السَّابلةُ هُم السَّائرونَ على السَّبيل أو في السَّبيل في الطَريق فيقَالُ عن الطُرق العامَّة إنَّها طُرقٌ السَّابِلة في لغة العرب، ونحنُ في دُعاء النُّدبة الشريف نُخاطبُ أئمَّتنا صلواتُ اللّه وسلامهُ عليهم أجمعين: (**أَيْنَ الحَسَنُ أَيْنَ الحُسَين أَيْنَ أَبْنَاءُ الحُسَيْن** - في مَفاتيح الجنان، أبناءُ الحُسينِ من السجَّاد إلى القَائم صلواتُ اللّه عليهم - **صَالِحٌ بَعْدَ صَالِح وَصَادِقٌ بَعدَ صَادق، أَيْنَ السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيل** - هؤلاء هُم السَّبيلُ الأعظم.
"**وَالسَّبِيلَ الَّذي لَا يَخْتَلِجُ دُوْنَك**": الاختلاجُ هُو الاهتزازُ وهو الاضطرابُ، وإنَّما يضطربُ السَّبيلُ حينما تضطربُ المعرفة، (**يَا كُمَيل** - أميرُ المؤمنين يقولُ لهُ - **مَا من حَرَكَة إِلَّا وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ فِيهَا إِلَى مَعْرِفَة**)، هذه المعرفةُ لابُدَّ أنْ تُؤخَذَ منهُم، في الوصيَّة نفسها: (**يَا كُمَيل لَا تَأْخُذ إِلَّا عَنَّا تَكُن منَّا**).
السَّبيلُ إنَّما يضطربُ أكانَ مَاديَّاً أم كانَ معنويَّاً لأنَّنا في الحقيقةِ حينما نتعامَلُ مع السَّبيلِ الـمُوصلِ إلى مُحمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ إنَّما نتعامَلُ؛
- من خلالِ عُقولنا أوَّلاً.
- ومن خلالِ قُلوبنا ثانياً.
- ومن خلالِ ضمائرنا ومضموننا ثالثاً.
- في آخرِ الأمرِ يأتي التعاملُ من خلالِ جوارحنا من خلالِ أجسادنا.
فالاضطرابُ والاختلاجُ؛ إنَّما هُوَ في المعرفة، في العقيدة.
في دُعاء عصر الغَيْبَة، من أعظم الأدعية وقد وردنا من النَّاحية المقدَّسة: **اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَك** - هكذا يبدأُ الدعاء، هذا دعاءُ النَّجاة في زمان الغيبة حينما تحتدمُ الفتن وحينما تضطربُ الأهواء وحينما تضطرمُ الشبهات - **اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَك فَإِنَّكَ إِنْ لَم تُعَرِّفْنِي نَفْسَك لَم أَعْرِف رَسُولك** - المعرفةُ تحتاجُ إلى توفيق، "إِلَهِي إِلَهِي - في دعاء أبي حمزة الثُّمالي - إِلَهِي إِلَهِي بِكَ عَرَفْتُك وأَنْتَ دَلَلْتَنِي عَلَيْك - بِمُحَمَّد وآلِ مُحَمد - وَلَولا أَنْتَ لَم أَدْرِي مَا أَنْت)، هُم يقولون صلواتُ اللّه عليهم كلماتهم في الجزء الأولِّ من الكافي الشريف: (وَلَوْلَانَا مَا عُرِفَ اللّه - بِمعرفتهم عُرِفَ اللّه - وَلَوْلَانَا مَا عُبِدَ اللّه وبِعِبَادَتنَا عُبِدَ اللّه)، هذا هو السَّبيلُ الواضح، وهذا هو الدينُ النَّاصح، وهذا هو الفلاحُ والنجاحُ والصلاحُ في أوضحِ صوره في فناءِ إمامِ زماننا لا في فناءِ العجول البشريَّة التافهة من مراجع الدينِ أو زعماء السياسة اللصوص.
- **اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَك** - إنَّهُ التوفيق - **فَإِنَّكَ إِنْ لَم تُعَرِّفْنِي رَسُولَك لَم أَعْرِف حُجَّتَك، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَك فَإِنَّكَ إِنْ لَم تُعَرِّفْنِي حُجَّتَك** - ما الَّذي سيكون؟ - **ضَلَلْتُ عَن دِينِي** - هذا هو السَّبيلُ المضطرب - **اللَّهُمَّ لَا تُمِتْنِي مِيتَةً جَاهِلِيَّة ولا تُزِغ قَلبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي** - هذا هو الاختلاج، الضلالُ عن الدين، الميتةُ الجاهليّة والَّتي تتفرَّعُ عن الجهلِ والجهالة، الكَفَالَةُ الحسينيَّةُ تتعهَّدُ لَنا، وتلَا تزمُ لَنا بأَنْ تُنجينا من هذا الاختلاج، كلمةُ إمامنا الرِّضا الموجزةُ تُلَخِّصُ لنا مَضمونَ الكَفَالَة الحُسينيّة في كُلِّ أبعادها: (**مَنْ لَزِمَنَا لَزِمْنَاه**).
أَلْتَمِسُ - يَا أبا عَبد اللّه يا سَيدَ الشُّهداء - **أَلْتَمِسُ كَمَالَ الـمَنزلة عِنْدَ اللّه وَثَبَاتَ القَدَمِ فِي الهِجْرَةِ إِلَيْك وَالسَّبِيل الَّذي لَا يَخْتَلِجُ دُونَك** - ليسَ هُناكَ من اضطرابٍ يحولُ فيما بيني وبينك، ليسَ هُناكَ من جهلٍ أو جهالةٍ أو جاهليّةٍ أو زيغِ قلبٍ، كُلُّ هذا بتوفيقٍ منكَ يا أبا عَبد اللّه، وإنَّما أنالهُ إذا ما أدخلَتني في كفالتك فأنا قَصدتُكَ زائراً ووفدتُ إلى حَرمك. كَفَالةُ العبَّاس فرعيَّةٌ، لأنَّ العبَّاس مرآةٌ حُسينيّة، لأنَّ العبَّاس وَجهُ الحُسين الَّذي إليه نَتوجَّه، وكَفَالَةُ العبَّاس هي للشيعة، (**مَنَ الدُّخُولِ فِي كَفَالَتِكَ الَّتِي أَمَرْتَ بِهَا**)، الحُسينُ هو الَّذي أمَرَ بهذه الكَفَالَة، فبابُ الحُسَينِ أوسع، وسَفينةُ الحُسَينِ أسرع.
زيارةُ قمر الهاشميّين صلواتُ اللّه عليه:
الزيارةُ المعروفةُ المرويَّةُ عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، في (مفاتيح الجنان) واضحةٌ جدَّاً في أنَّ العبَّاسَ هُوَ وجهُ الحُسَينِ هُوَ وجهُ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، كَفَالَةُ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد هي الكَفَالَةُ الحُسينيّة، ووجهُ هذا الكفيل أتحدَّثُ عن الحُسَين هو الكفيلُ الأصل، وجههُ الَّذي يتوجَّهُ إليه الحُسينيّونَ هُوَ العباس، وهذا المعنى واضحٌ جدَّاً في زيارته الشريفة، هكذا نُخاطبُ قمرَ الهاشميّين في زيارته: **جِئْتُكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِين** - هذا خطابٌ لشخص العباس بنحوٍ مباشر.
- **وَافِداً إِلَيْكُم** - "إِلَيْكُم"؛ إِلَى مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد الَّذينَ هُم في كربلاء، وافداً إلى حُسَينٍ وآلِ حُسَين، إنَّني أتوجَّهُ إليك يا أبا الفضل، لكن بأيِّ مضمون؟ بهذا المضمون:
وَقَلْبِي مُسَلِّمٌ لَكُم - قلبي لا يُسلِّمُ للعبَّاس، قلبي يُسلِّمُ للأئمَّة المعصومينَ الأربعةَ عشر فقط وفقط، أنا أُسَلِّمُ للعبَّاس وأنا عبدٌ للعبَّاس لأنَّهُ وجههم، الأصلُ في التسليمِ لهم؛ "**جِئْتُكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِين**"، الخطابُ لشخصه بهذا المضمون؛ "**وَافِداً إِلَيْكُم**"، إلى مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد الَّذينَ نزلوا في كربلاء، مَن هُم؟ حُسَينٌ حُسَينٌ، آلُ حُسينٍ يأتون تبعاً.
جِئْتُكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِين وَافِداً إِلَيْكُم - لماذا جِئتُك يا أبا الفضل؟ لأنَّكَ وَجهُ الحُسَين، لأنَّكَ الجهةُ الَّتي أتوجَّهُ إليها إذا ما توجَّهتُ للحُسين - **جِئْتُكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِين وَافِداً إِلَيْكُم وَقَلْبِي مُسَلِّمٌ لَكُم وَتَابِع** - أنا لا أتبعُ العبَّاس، أنا أتبعُ الأئمَّةَ المعصومينَ الأربعة عشر، وحينما أتبعُ العبَّاس أتبعهُ لأنَّهُ وجههم.
"**وَقَلْبِي مُسَلِّمٌ لَكُم وَتَابِع**"؛ هذا قلبي مَضموني الفكري والعقائدي، وَأنَا أنَا بِكُلِّي، في الجانب المعنوي، وفي الجانب المادِّي، وأنا بعقلي وقلبي وضميري ونيّتي وباطني وَكُلِّ مضموني وجوارحي وجسدي، فأنَا لَكُم تابعٌ، في الحقيقة أنا لا أُخاطبُ العبَّاس إنَّني أُخاطبهم؛ "أُخاطبُ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّد"، وإنَّما يتوجَّهُ الخطاب إلى العباس لأنَّهُ وجههم، وما جمالُ العباس الأخَّاذُ إلَّا رمزٌ وإشارةٌ إلى جمالهم - **وَأَنَا لَكُم تَابِع وَنُصْرَتِي لَكُم مُعدَّة** - هذه النُصرةُ ليست مُعدَّةً لشخص العبَّاس وإنَّما هذه النُّصرةُ مُعدَّةٌ لمُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد - **حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِين** - إنَّما يحكمُ اللّهُ من خلال مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد - **فَمَعَكُم مَعَكُم** - أخاطبُ العبَّاسَ لكنَّني لا أوجِّهُ الخطابَ لشخصه بما هو هو، من هُنا قالَ لهُ أبو عبد اللّه في يومِ تاسوعاء: (اركَب بِنَفْسِي أَنْتَ يَا أَخِي)، معنى هذه الكلمة الـمُجملة

هو هذا الَّذي يتجلَّى في هذه الزيارة، إنَّهُ وجهُ الحُسين - **فَمَعَكُم مَعَكُم لا مَعَ عَدُوِّكُم** - أنا لا أتبرَّأ من أعداء العبَّاس، العبَّاسُ ليسَ لهُ أعداء، أعداءهُ أعداءُ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، العبَّاسُ يتبرَّأ منهم، وإذا كانَ هُناكَ من عدوٍ للعبّاسِ فلأنَّ العبّاسَ وجهُ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، ميزانٌ الولايةِ والبراءة يدورُ حولَ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد.

-**إِنِّي بِكُم** - بِمُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد - **وبِإِيَابِكُم من الْمُؤْمنين، وبِمَن خَالَفَكُم وقَتَلَكُم منَ الكَافِرين، قَتَلَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُم بِالأَيْدِي والأَلْسُن. ثُمَّ ادْخُل فَانْكَب عَلَى القَبْرِ وَقُل: السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها العَبدُ الصَّالِح** - عادَ الخِطابُ لشخصِه صلواتُ اللّهِ عليه.

زيارةُ الشُّهداء الَّتي وردتنا من النَّاحية المقدَّسة:

في الجزء الثامنِ والتسعين من (بحار الأنوار) للمجلسي، طبعةُ دارِ إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الصفحة السبعينَ بعدَ المئتين، هكذا تُسلِّمُ زيارةُ الشُّهداء الَّتي وردت من النَّاحية المقدَّسة، هكذا يأتي السَّلامُ على العبّاسِ الشَّهيد: **السَّلامُ عَلَى العَبَّاسِ بنِ أمير الْمُؤْمنين الْمُوَاسي أَخَاهُ بِنَفْسه الآخذ لغَده من أَمْسه** - إشارةٌ دقيقةٌ جِدّاً، لأنَّ شجاعةَ العبّاسِ لم تتفعَّل في عاشُوراء، وإن ظهرَ ما ظهرَ منها، العبّاس هو الجيشُ، لا أقولُ هو الفارس، سيدُ الشُّهدَاءِ هوَ الَّذي قالَ لهُ: "إذا ما قُتلت فإنَّ جيشي سيتفرّقُ عنّي"، وليسَ هُناكَ من أحدٍ مع سيدِ الشُّهداء إلَّا العبّاس، هو هذا جيشُ الحُسين، هذا الجيشُ الَّذي أعدَّهُ أميرُ المؤمنين ليوم الطفوف.

في كُتب المقاتل هكذا نقرأ؛ حينما برزَ العبّاسُ وهو شخصٌ واحد، هاجَ الجيشُ، تلكَ الألافُ المؤلَّفة هاجت والمنادي يُنادي في أوساطهم؛ "احملوا عليهِ من كُلِّ جانب، هو شخصٌ واحد، وهم يُشاهدونهُ خرجَ حاملاً للقربة، واضحٌ أنَّهُ يُريدُ الماء لا يُريدُ القتال، ومعَ ذلكَ هاجَ الجيشُ بكُلِّه، هذا هو جيشُ الحُسين، لم تتجلَّى قُدرةُ هذا الجيش الَّذي أعدَّهُ الكرّارُ حيدر ليومِ الطفوف في يومِ الطفوف، متى ستتجلَّى هذه القُدرة؟ في الرجعة العظيمة، والإمام يُشيرُ إلى هذه الحقيقة؛ (**الآخذ لغَده من أَمْسه**)، ما نحنُ هكذا قرأنا في زيارة العباس: "**إِنِّي بِكُم** - بِكُم سادَتي - **وَبِإِيَابِكُم منَ الْمُؤْمنين** - الإياب الرجعة، إنَّها الأوبة - **وبِمَن خالفَكُم وقَتلَكُم مَنَ الكَافرين، قَتلَ اللَّهُ أُمَّةً قتَلَتْكُم** - متى؟ في الرّجعة - **بِالأَيْدِي وَالأَلْسُن**)، عندَ ظُهور القائمِ وعندَ الرّجعة، والخطابُ هُنا بخصوص الرّجعة لأنَّني أتحدَّثُ معَ العبّاس صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه ذلكَ الجيشُ الَّذي ستتجلَّى قُدرتهُ الهائلة في الرّجعة العظيمة.

السَّلَامُ عَلَى العَبَّاسِ بنِ أَمِيرِ الْمُؤْمنِينَ الْمُوَاسِي أَخَاهُ بِنَفْسه الآخذ لغَده من أَمْسه، الفَادِي لَهُ الوَاقِي - هذه أوصافُ العبّاس، لم يأتي ذكرُ الكَفيل فيها، العبّاسُ هُوَ المواسي، العباس هُوَ الفَادي، هُوَ الواقي - **الفَادِي لَهُ** - الفَادَي لِلحُسَين – **الوَاقِي، السَّاعِي إِلَيهِ بِمَائه، الْمَقْطُوعَة يَدَاه، لَعَنَ اللَّهُ قَاتِلَيْه** - إلى آخرِ ما جاء في زيارته الشريفة.

• **هُناكَ نصّان.**

النصّ الأول في كتاب (الخصائصُ العبَاسيّة)، وهذا الكتابُ في أصله باللغة الفارسيّة، لمؤلِّفه محمَّد إبراهيم الكلباسي النَّجفي، من علماء الدينِ في إيران، بحسبِ ما هو معروف توفِّي سنة (١٣٦٢) للهجرة، ما هو بمتقدِّمٍ فهو منَ المتأخِّرين / تُرجم إلى العربيّة / طبعةُ المكتبة الحيدريّة/ قُم/ الطبعةُ الأولى/ ١٤٢٥ هجري قمري/ الصفحة الثانية والسبعين والَّتي بعدها/ تحتَ عنوان: (سؤالٌ وجواب): **قيلَ إِنَّهُ لَمَّا مضت أَيَّامٌ على ولادَة أبي الفضل العبّاس جاءت السيِّدةُ زينب إلى أبيها أمير المؤمنين يوماً وهي تحملُ أخاها العبّاس وقد ضمّتهُ إلى صدرها وقالت لهُ: أبه يا أمير المؤمنين، ما لي أرى قلبي مُتعلِّقاً بهذا الوليد أشدَّ التعلُّق ونفسي مُنشدَّةً إليه أكبرَ الإنشداد؟ فأجابها أبوها الإمامُ أميرُ المؤمنين بِلُطف وحنانٍ قائلاً: وكيفَ لا تكونينَ يا أبه كذلك وهو كفيلُك وحاميك، فقالت السيِّدةُ زينب بتعجّب: إِنَّهُ كفيلي وحاميني؟ فأجابها عليه السّلام** - أجابها أميرُ المؤمنين - **بعطف وشفقة نعم يا بنية، ولكن ستفارقينهُ ويُفارقُك، فقالت السيِّدةُ زينب باستغراب: يا أبتاه أيتركني هُوَ أم أتركهُ أنا؟ فقالَ الإمامُ أميرُ المؤمنين وهو يُجيبها بلهفة ولوعة: بل تتركينهُ يا بُنية وهو صريعٌ على رمضاء كربلاء مقطوعُ اليدين من الزَّندين مفضوخُ الهامة بِعَمَدِ الحديد ظامٍ إلى جنبِ الفُرات، فَلَم تتمالَك السَّيدةُ زينب لَمَّا سَمعت ذلك حتَّى أعولت وصاحت وا أخاه وا عباساه.**

النصُّ الآخر جاء في كتابٍ صغيرٍ لأحد خُطباء البحرين: محمّد علي ناصر، والَّذي توفِّي قبلَ ثلاثة وعشرين سنة، بالضبط في سنة (١٩٩٩) ميلادي، الكتابِ عنوانهُ (النصُّ الجلي في مولد العبّاس بنُ عليّ)، الصفحة السادسة والخمسين وَردَ هذا النّص: **إنَّ زينب لَمَّا رأت أباها جمعَ أولادَهُ عندَ الاحتضار وأخذَ يُوصيهُم، تقدَّمَت إلى أبيها وَقالَت: يَا أبتَاه أُريدُ أن تَختارَ لِي من أَخوتي مَن يكفُلني ويَلتَزِمُ بِي، فقَالَ: بُنيَّة هَؤلاء أخوتُك فاختَاري مَن تُريدين هَذا الحَسنُ وهَذا الحُسين، فقَالَت: الحَسنُ والحُسينُ أئمَّتي وسَادَتي وأنَا آخُذُهُما بِعَيني، ولَكن أُريدُ من أخوتي مَن يخدمُني لعلَّي أحتاجُ في هذه الحياة إلى سَفَر فيَخدمُني ويَكفُلُني في السَّفر، فَقالَ: اختاري منهم مَن شئت، فَمَدّت زَينبُ بَصرها إلى أخوتها فَمَا وَقعَ الاختيارُ إلَّا عَلى قمر العَشيرة أبي الفَضل العبّاس، فقَالَت زَينب: يَا أبتاهُ أُريدُ أخي هذا وَأشارَت إلى العبَّاس، فَقالَ أميرُ المؤمنين عليه السَّلام: بُنَي إذنُ منّي، فدنَى منهُ، فأخَذ بيد زينب وَوضعَها في يد العبّاس وقَالَ: بُني هذه وديعةٌ منّي إليك، فقالَ العبَّاسُ وقَد تَحادَرت دُموعهُ عَلى خَدّيه: يَا أبتاه لَأنعُمَنَّكَ عَيناً وَأبذُلُ كُلَّ جُهدي في حِفظِها ورِعَايتها، فَأخذَ أميرُ المؤمنين يَنظر إلى العبّاسِ وإلى زينب ويَبكي.** هذا النصّ الثاني.

النصُّ الثاني وَردَ فيه: (**يَا أبتَاه أُريدُ أن تَختارَ لِي من أخوتي مَن يكفلني ويَلتَزِمُ بِي،**) وتكرّرت هذه الجملة في نفس النَّص في نفسِ هذه الرواية، فقد يتصوَّرُ مُتصوِّرٌ من أنَّ مثلَ هذه النصوص تكونُ أساساً لأنْ نَبني عليها عقائدنا، أيُّ كلامٍ هذا وأيُّ مَنطقٍ هذا؟!

هذان النَصَّان ليسَ لَهُما من عينٍ أو أثر لا من الجهة اللفظيّة، ولا من الجهة المضمونيّة في كُتبنا القديمة، حينما نَتحدَّثُ عَن رِوايات وأحاديث أهل البيت إنَّنا نتحدَّثُ عن كُتبٍ تَشتملُ على أحاديث أهل البيت، هذه الكُتبُ أمرَ الأئمَّةُ بكتابَتها، الأئمَّةُ أمروا أصحابَهُم أن يَضبطوا الحديث بالكتابة وَقالو لهم من أنَّ القَلبَ في حفظه يتَّكلُ على الكتابة، وتلكَ الكُتُب الأئمَّةُ راجعوها بأنفُسهم وَصحَّحوها وبيَّنوا لنا الَّذينَ كَذَبوا عليهم، وكذلك فإنَّ الأئمَّة أمروا أصحابَهُم بالمحافظة على هذه الكُتبَ، وبأنْ تُنقَلَ عبرَ الأجيال وبعد ذلكَ أجازوا لنا العَملَ بها، هذا كُلُّهُ موجودٌ في الروايات والأحاديث.

هذان النَصَّان ليسَ لَهما من عَينٍ أو أثرٍ في كُتبنا القديمة الأصليّة، لا من جهة الألفاظ، ولا من جهة المَضمون، وبهذا فلا قيمةَ عقائديَّة لهذين النصّين.

ومن الجهة العلميّة؛ أيضاً لا قيمةَ علميّة لهذين النصّين، فالكَاتبان لَم يُشيرا إلى المصادر، ولم يُشيرا إلى الرّواة، لا ندري منَ أينَ جاءوا بهذه النصوص.

الجهةُ الثالثة: القيمةُ النصيّة.

النصُّ الفارسي لا قيمة لهُ، لأنَّ النصَّ الفارسيّ هو ترجمةٌ لنصٍّ عربي، إلَّا إذا نَقلَ عن مَصدرٍ باللغة الفارسيّة وحينئذ فإنَّ النصَّ العربيَّ إذا كانَ روايةً من جُملة رِوايات وأحاديث أهل البيت ليسَ بأيدينا، النصُّ الفارسي لا قيمة لهُ، وهذه القيمةُ تتلاشى وتتلاشى أكثر حينما نقرأ النصَّ بالترجمة العربيّة، فهذه الترجمةُ منَ جهة التعبيرِ فيها رَكَّةٌ - أتحدَّثُ عن الجانب الأدبي - والتعابير تعابير معاصرة!

مثلاً حينما تقولُ العقيلةُ لأمير المؤمنين: (**مَالي أرى قَلبي مُتعلِّقاً بهذا الوَليد أشدَّ التَعلُّق ونَفسي مُنشدَّةً إليه أكبرَ الانشداد**)، هذه تعابير مُعاصرة، تعابير تتردَّدُ في أيَّامنا هذه، مثلُ هذه التعابير لم يَكُن موجوداً في زمان الأئمَّة، ولا حتَّى في الأزمنة الَّتي جاءت من بعدهم، فَليسَ هُناكَ من قيمة نَصيَّة لهذه النصوص.

أمَّا النصُّ الَّذي جاء في كتاب (النصُّ الجلي في مولد العبّاس بن عليّ): فهو يشتملُ على أخطاء، فضلاً عن أنَّ التعبيرَ تعبيرٌ مُعاصر، فكأنَّ المؤلِّفَ قد وصلَ إلى مَسامعه خبرٌ، وصلت حكايةٌ، وهو صاغَها بصياغَته، فليسَ هُناكَ من قيمة نَصيَّة لهذه النصوص، القيمةُ النصيَّة تكونُ للنصوص حينما يُحافَظُ على النص بلحنه القوليّ، بمعاريض كلامه، فحينما نُراجِعهُ نتلمَّس لَحنَ حديثهم صلَواتُ اللّه عليهم في النَّص ونَجدُ مَعاريضَ كلامهم واضحةً في النّص، هذه هي القيمةُ النصيَّة.

- فالرواياتُ لها قيمةٌ عقائديَّةٌ؛ تنشأ من مصادرها وروّاتها.

- ولها قيمةٌ علميَّةٌ؛ تنشأ من معرفة مَصادرها الَّتي هي لَيست من منظومة المصادر الخاصَّة بحديث أهل البيت، يُمكن أن تَرِدَ نُصوصٌ في كُتب المخالفين، لكنَّها نُصوصٌ صَحيحةٌ، لأنَّها تُحافظُ على لَحنها ومعاريض الكلام فيها، فهُناكَ قيمةٌ علميَّةٌ لهذه النصوص.

- فَرقوا بينَ القيمة العقائديَّة الَّتي تكونُ مُختصَّةً بكُتبنا فقط، وهُناكَ قيمةٌ علميَّةٌ، وهُناكَ قيمةٌ نَصيَّةٌ في النصِّ نفسه.

عندنا نصوصٌ ليست في كُتبنا وليست في كُتب المخالفين وإنَّما رُويت على الألسنة، على سبيل المثال: الحديثُ الَّذي يُنقَلُ عن إمامنا الصَّادق صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: (**كُلْنَا أبوَابُ النَّجَاة وبَابُ الحُسَينِ أوْسَع، وَكُلْنَا سُفُنُ النَّجَاة وَسَفينَةُ الحُسَينِ أسْرَع**)، ليسَ موجوداً في مصادرنا القديمة، وليسَ موجوداً في مصدرٍ معروفٍ آخر لَهُ قيمةٌ علميّة، منَ الأحاديث الَّتي نُقلَت على الألسنة، لكنَّ لَحنَ المعصومِ واضحٌ فيها.

غايةُ ما يُمكنُ أنْ نُثبتَه بهذين النصّين مع كُلِّ هذه العيوب الَّتي أشرتُ إليها؛ من أنَّ العقيلة زينب طلبت كَفَالةً عُرفيّةً، اجتماعيّةً، أخلاقيّةً، وهذا لا يتناسبُ مع مَقامها ومعَ شأنِ أبي الفضل العبّاس، فالعبَّاسُ من الوفاء والغَيْرة والحَميَّة والخُلُق العالي لا يحتاجُ إلى أنَّ أميرَ المؤمنين يَجعلُ منَ العقيلة وديعةً عنده لكي يَقومُ بواجبه، هذا الكلامُ فيه إساءةٌ للعبّاس وفيه إساءةٌ للعقيلة من أنَّها لا تثقُ بالعبّاس وبأخوتها، فَغايةُ ما يُمكنُ أنْ نُثبتهُ هو الكَفَالَةُ العُرفية، الكَفَالَةُ الاجتماعيَّةُ، وهي جُزءٌ من أخلاق العبّاس صلواتُ اللّه عليه، العبَّاسُ أخلاقهُ ستكونُ بهذا المستوى معَ العقيلة ومعَ أيِّ امرأة أخرى، فالعبَّاسُ ليسَ بحاجة أن تُؤخذَ عليه العهود من قِبَلِ أمير المؤمنين وفي لحظة حَرِجة في الساعات الأخيرة من حياة سيد الأوصياء، هذا الكلامُ لا يُمكنُ أنْ نَقبلهُ إلَّا في حالة واحدة: وهو أنَّ العقيلةَ تُريدُ أنْ ترسمَ لوحةً عاطفيةً تكونُ جزءاً من مجموعة اللوحات العاطفيّة الَّتي ستتركُ أثراً في نفوسِ بعض الشيعة بخصوص واقعةِ عاشُوراء، لأنَّ الجميعَ كان يَجيشُ العواطف..

هذه عاشُوراء قد رُسمت، رُسمت بطريقةٍ خاصَّة، العبّاسُ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه ليسَ مُحتاجاً لمثلِ هذا المضمونِ في هذه الرواية إلَّا لهذه الغاية، ولا نملكُ دليلاً على ذلك.

ما الَّذي حَدَث؟ الَّذي حَدَث أنَّ الشيعة أخذوا هذه الصورة وضيّعوا العقيدة الأصل الَّتي هي كَفَالَةُ الحُسَين ويجبُ علينا أن نطلُبَها، تركوها وجاءونا بحكاية ليسَ لها من مَصدر، لو كانت العقيلةُ وديعةً بمعنى الوديعة لأوْدَعَها أميرُ المؤمنين عندَ الحسَن، والحَسَنُ يُودِعُها عندَ الحُسَين عندَ المعصوم، مثلما أودَعَ رسولُ اللّه الزَّهراءَ عندَ أمير المؤمنين.

فهذا المضمونُ بالنسبة لي لا أقبلهُ إلَّا بهذا اللحاظ - قطعاً إذا ثبتت النصوص - بلحاظ أنَّ العقيلةَ هُنا، وأنَّ العبّاسَ هُنا، وأنَّ أمير المؤمنين في مَقامِ تجييش العواطف، هذه مُقدِّمات للأسباب الَّتي ستُعتَمَدُ في تجييش العواطف وترسيخ المظلوميّة في مَشروع عاشُوراء.

سيِّدُ الشُّهداء جَيّشَ العواطف، ولذا هُناكَ حثٌّ على ذكر المصيبة بلحنٍ حزين، أنْ تُقرأ بالرقَّة، هُناكَ دَفعٌ لقولِ الشعرِ الحزينِ في الحُسَين، هُناكَ دفعٌ لتذكُّر المصابِ وتذكُّر العَطش كي تَسيلَ الدُّموع، كي تتفجَّر الدُّموع، إنَّهُ قَتيلُ العَبرات، ما ذُكِرَ عندَ مُؤمنٍ إلَّا واستَعْبَر.

وإذا أردنَا أن نُدقِّق في هذين النَّصّين هُناكَ تَضارُبٌ بينَ النصّين؛

النصُّ الَّذي جاءَ في (الخصائص العبّاسيّة): العقيلةُ بَعدَ ولادة العبّاس بأيَّامٍ قلائل تسألُ أمير المؤمنين لماذا يتعلَّقُ قلبي بالعبّاس؟ الإمامُ يُخبِرُها بأنَّهُ سيكونُ كَفيلَها وحاميها، فهذا يعني أنَّ العقيلة على علمٍ بكَفَالة العبّاس وأخبرها في الروايةِ في النصِّ من أنَّها ستتركُ العبّاسَ صَريعاً على رمضاء كربلاء إلى آخر ما جاء في النص، إذاً هي على علمٍ من البداية مُنذُ ولادة العبّاس.

في النص الثاني الَّذي جاءَ في كتاب (النصُّ الجلي مَولِد العبّاس بن عليّ): هي لا تعرفُ كَفيلَها وإنَّما طلبت من أميرِ المؤمنين أنْ يَختارَ لها، وبعدَ ذلك أميرَ المؤمنين خَيّرها فاختارت العباس.

فهُناكَ تضارُبٌ بينَ النصّين، إلَّا إذا أردنا هكذا مع قبولنا للنصّين أن نقول: من أنَّ هذا جُزءٌ من تجييش العواطف وهو بعيدٌ بعيدٌ جِدَّاً!

كي يتَّضحَ الأمرُ بنحوٍ أوضح لابُدَّ أن أشخِّصَ لكم مسألةً مُهمَّةً: مَنزلةُ العقيلة وشأنُها أعظمُ من مَنزلة العبّاس وشأنه، ولذا فإنَّ العبَّاسَ لَنْ يكونَ كفيلاً للعقيلة إذا كانَ الحديثُ عن الكَفَالَة الدِّينيّة والعقائديَّة هي الَّتي ستكونُ كا فلَةً لهُ، لأنَّ المرتبةَ الأعلى تكونُ كافلةً للمرتبة الَّتي أدنى منها، هذا الموضوعُ حسَّاسٌ، أمَّا إذا كانَ الحديثُ عن كَفَالَة عُرفيّة واجتماعيّة فهذا شأنٌ يرتبطُ بأخلاق العبّاس وليسَ هُناكَ من حاجةٍ إلى أخذ تَعهُّد عليه مثلما شرحتُ لكم، هذا الموضوعُ حسَّاسٌ يحتاجُ إلى دقَّة وانتباه وتدبُّر وتأمُّل في المضامين.

المصطلحاتُ الَّتي تَتحدَّثُ عَن المنازلِ والمراتبِ في الدِّين التعامُلُ معها لابُدَّ أن يكونَ دقيقاً، فمثلاً: حينما نقرأ زياراتِ أبي الفضل العبَّاس: (العبَّاسُ صِدِّيقٌ، العبَّاسُ شَهيدٌ).

فهو صدِّيقٌ من الصدِّيقين، وهو شَهيدٌ منَ الشُّهداء، لا أتحدَّثُ عن شهادة في المعركة، العبّاسُ من سَادَة الشُّهداء، هُوَ سَيِّدُ الشُّهداء في أنصارِ أبي عبد اللّه، في الأحاديث الشريفة أصحابُ الحُسين هُم سادَةُ الشُّهداء، سادةُ الشُّهداء في الماضي والحاضرِ والمستقبل أصحابُ الحُسَين، أنا لا أتحدَّثُ عن شُهداء المعارك، وإنَّما أتحدَّثُ عن الشُّهداء الَّذين هُم الشُّهداء على الخَلْق، المشرفونَ على الخَلْق.

هذه الأوصافُ ثابتةٌ للعقيلة أيضاً؛ فالعقيلةُ صدِّيقةٌ وشَهيدةٌ من الشُّهداء، من الشُّهداء الَّذين يُشرِفونَ على الخَلْق، هذا المقامُ أعلى بكثيرٍ من مقاماتِ شُهداء المعارك، والزَّهراء، والعقيلةُ من الصَّالحينَ أيضاً، سيّدةُ الصَّالحينَ والصَّالحات.

وهذه الأوصافُ تُقالُ في حقِّ أمير المؤمنين؛ فأميرُ المؤمنينَ صدِّيقٌ وهو الصدِّيقُ الأكبر، وهو سَيِّدُ الشُّهداء، وهو سَيِّدُ الصَّالحين.

وهذه المضامين تُقالُ في حقِّ رسول اللّه: هذه المصطلحاتُ لابُدَّ أنْ نَتعامَلَ معها بدقَّة، وبدقَّة فائقة، وبعناية ورعاية شديدة، لابُدَّ أنْ تعرفوا من أنَّ رسولَ الله صدِّيقٌ، وأميرَ المؤمنين صدِّيقٌ، والعَقيلةُ صدِّيقةٌ، والعبّاسُ صدِّيقٌ، وأنا صَدِّيقٌ، وأنتُم صدِّيقون، تستغربونَ من هذا؟!

بنَصِّ القُرآن؛ في الآية التاسعة بعدَ العاشرة بعدَ البسملة من سورة الحديد: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّه وَرُسُلِه** - نُؤمنُ باللّه ورُسُله؟ قطعاً بحسبنا - **أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا** - الَّذينَ نَتبرَّأ منهُم - **وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾، بحسبِ هذه الآية فأنا

صدِّيقٌ وأنتُم صِدِّيقون، وأنا شهيدٌ وأنتُم شُهداء، فهل أنا وهل أنتُم صِدِّيقونَ كالعبّاسِ أو كالعقيلة؟ وهل أنَّ العبّاس صِدِّيقٌ كالعقيلة؟ أو أنَّ العقيلة صِدِّيقةٌ كالزَّهراء الصِدِّيقة الكُبرى؟ هذه المصطلحاتُ دقيقةٌ وحسَّاسةٌ.

مُصطلحُ الصدِّيق مثلاً: حينما نَستعملهُ بحقّ الأئمَّة المعصومينَ الأربعةَ عشر من مُحَمَّدٍ المصطفى إلى قائمِ آلِ مُحَمَّد لَهُ دِلالةٌ لا علاقةَ لها بدِلالةِ هذا المصطلح حينما نَستعملهُ بحقِّ شيعتِهم، العقيلةُ من شيعتِهم، العبّاسُ من شيعتِهم.

- إذاً الصدِّيقيّةُ عندَ المعصومينَ الأربعةَ عَشرَ دلالَتُها خاصَّةٌ بِهِم، للتمييز لنَقُل أنَّهُ المعنى الأخص.
- حينما ننتقلُ إلى شيعَتِهم هُناكَ صدِّيقيّةٌ بالمعنى الخاص كَصدِّيقيّة العقيلة، كصدِّيقيّة العبّاس.

والمعنى الخاص يختلفُ اختلافاً كاملاً بالمطلق عن معنى الصدِّيقيّة العام الَّذي يَصدقُ عَلَيّ وعليكم.

في سورة النساء، الآية التاسعة والستين بعدَ البسملة: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً**﴾، الصدِّيقيّةُ هُنا تختلف، هذه صدِّيقيّةٌ بالمعنى الخاص، الآيةُ تُفسر لنا مَا جاء من ذكرِ للَّذينَ أنعمَ اللَّهُ عليهم في سورة الفاتحة:

في سورة الفاتحة، الآية السادسة وما بعدها بعد البسملة: ﴿**اهدِنَـــا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ** - هذا الصراطُ يُشَرح يُبيّنُ بالإجمال - **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ**﴾، إلى آخرِ ما جاء في سورة الفاتحة، فنحنُ نبحثُ عن هذا الصِّراط، إنَّهُ صراطُ الَّذينَ أنعمَ اللهُ عليهم، مَن هم هؤلاء؟

الَّذينَ جاء ذكرهم في الآية التاسعة والستين بعدَ البسملة من سورة النساء: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ** - هذه طاعةٌ كاملة - **فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً**﴾، قطعاً أنا أتحدَّثُ عن الأفق الَّذي يُناسبُ المعنى الخاص، وإلَّا فنحنُ أيضاً نُطيعُ اللَّهَ ورسولهُ في الأفق الَّذي يُناسبنا بحسبِ مراتبنا، بحسبِ درجاتنا، نِيّتُنا على طاعة اللهِ وطاعةِ رسولهِ وآلِ رسوله، كَم سَنُنَفِّذُ ما في نِيّتنا ما هو المقدار؟ هَذا أمرٌ راجعٌ لكُلِّ شخص بحسبِ توفيقه.

• الحمزةُ وجعفر.

الحمزةُ أسدُ اللّه وأسدُ رسوله، وجعفرٌ هُو الطيّارُ صَلواتُ اللّه عليهما، الروايةُ طويلةٌ، سأذهبُ إلى موطن الحاجة منها، في الجزء الثامن من (الكافي الشريف)، طبعةُ دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، إمامنا الصَّادقُ يَقول: "**فَجَعْفَرٌ وَحَمْزَةُ هُمَا الشَّاهدانِ لِلأَنْبِيَاء بِمَا بَلَّغُوا**"، الحمزةُ صدِّيقٌ؟ صدِّيقٌ، الطيّارُ صدِّيقٌ؟ صدِّيقٌ، الحمزةُ منَ الصَّالحين؟ منَ الصَّالحين، الطيّارُ من الصَّالحين؟ من الصَّالحين، لكنَّ الوصفَ الظاهرَ لهما بتعبيرٍ تقريبي وظيفةُ الحمزة ووظيفةُ الطيّارِ هي هَذه، هذا يعني أنَّهما أعلى رُتبةً منَ الأنبياء، فالنُبوَّةُ وظيفةٌ، الصدِّيقُ قد يَكونُ أعلى رُتبةً منَ النَّبي إلَّا إذا كَانَ النَّبيّ في منزلتهِ الصدِّيقيّةِ أعلى شأناً من هذا الصدِّيق.

أذكِّركُم بحديث، إمامنا الصَّادقُ يقول: (**إِنَّ أَمْرَنَا** - إنَّ سِرّنَا - **إِنَّ أَمْرَنَا صَعبٌ مُسْتَصْعَبٌ ذَكوَانُ أَجْرَد لَا يَحْتَملهُ لَا نَبِيٌّ مُرسَل** - وأكثرُ الأنبياء لَيسوا مُرسلين - **وَلَا مَلَكٌ مُقرّبَ** - وأكثرُ الملائكة ليسوا بِمقرّبين - **وَلَا عَبْدٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ للإِيمَان** - وأكثرُ العباد ما امتُحنتَ قلوبُهُم للإيمان، ومع ذلك حتَّى هذه المجموعة الخاصّة لا تَحتملُ أمرَهُم - **فَمَنْ يَحْتَمِلُهُ يَا ابْنَ رَسول اللّه؟ قَالَ: مَن شِئْنَا**)، "مَن شئنا"؛ قد يَكونُ من الأنبياء المرسلين أو لا، قد يكونُ من الملائكة المقربين أو لا، يَكونُ منَ الَّذين امتُحنَت قُلوبُهم من شيعتهم فسيكونُ أعلى رُتبةً من الأنبياء المرسلين، ومن الملائكة المقرّبين، لأنَّهُ سيكونُ في المرتبة الصدِّيقيّة مثلاً.

مَريمُ صدِّيقَةٌ هي أعلى شَأناً من زكريَّا وزكريَّا نبيّ، وزكريَّا صَدِّيقٌ لكنَّ صِدِّيقيّة مَريم أعلى شأناً من صدِّيقيّة زكريا، تأتينا هذه التفاصيل في حلقةِ يومِ غدٍ إنْ شاء اللّه تعالى..